تاريخ السل والوقاية منه*

سادتي

رغب اليّ رئيس جمعية السل الفاضل أن أكلمكم في موضوع قد اختاره لي وهو السل ولم يختر لي هذا الموضوع عبثاً وهو الذي يعمل مع اخوانه النشاط ليلاً نهاراً على مكافحة هذا الداء الوخيم ودرء خطره عن هذه البلاد المحبوبة بل اختاره بعد أن رأى ضحاياه تعد بالألوف واصاباته بمئات الألوف فرغب في أن تكون المحاضرة الأولى التي تلقى من على هذا المنبر عن هذا الداء الوبيل وقد أحسن حضرة الرئيس عملاً لأن التبشير بالقواعد الصحية أمضى سلاح تكافح به الأمراض وهل من تبشير أوسع نطاقاً من هذا التبشير وقد غص هذا المكان على رحبه عن استيعاب نخبة العلم والفضل؟ فهل يرجو المتكلم أن يجد من المستمعين عدداً أوفر وهل يؤمل في أن يكون لكلامه فائدة أجزل من هذه الفائدة التي إذا رددها كل منكم أمام أنسبائه انتشرت وعمت دمشق وضواحيها لا بل هل يحلم أن تكون رسل مباديه أرفع مقاماً وأعلى شأناً من هؤلاء الرسل الكرام الذين أنجبتهم دمشق فكانوا شامة في جبينها وفخراً لها؟ لا لعمري لقد أحسن حضرة الرئيس اختيار المكان والموضوع ولكنه لم يحسن انتقاء الخطيب. ولعل الحسنتين الأولاوين تمحوان الخطيئة الأخيرة. بعد أن جاءتني دعوة الرئيس لم يسعني سوى النزول عند رغبته وتلبيه طلبه ورغبته لا ترد وطلبه لايصد. ففكرت ملياً في الشق الذي أختاره من هذا الموضوع الرحب الذي لايحيط

(*) محاضرة القاها الدكتور مرشد خاطر بطلب من لجنة مقاومة السل في الحادي عشر من شهر تموز سنة ١٩٢٩.

المرء باطرافه الا بعد كتابة مجلد ضخم عنه وقلت في نفسي ماعساني أتكلم والحضور الكرام أنواع بينهم رؤساء الأديان والأعيان والمحامون والتجار والصحافيون والاطباء والموضوع طبي صرف اذا عالجته معالجة طبية بحتة كانت منه للزملاء الكرام وطلبة الطب النجباء وهم قلائل فائدة كبيرة ولم يجن منه السواد الأعظم من المستمعين، وهم كثر، أقل فائدة وإذا عكست الآية وعالجته معالجة صحية صرفة كانت منه للفئة الثانية الفائدة التي أتوخاها ولم تجن منه الفئة الطبية أقل فائدة فحرت في أمري وعدت أخيراً فقلت ان المساواة اس العدل فالواجب يقضي عليّ أن أرضي مستمعيّ جميعهم فلا أكون طبيباً صرفاً فتنصب عليّ لعنات الفئة الثانية ولا أخرج خروجاً كاملاً عن الطب فيتبرأ مني أبناء أبقراط وأنا منهم ولي كل الفخر في أن أكون منهم وعليه فقد أعددت للزملاء الأفاضل صفحة قديمة عن السل لا يتيسر لهم جمعها وكتابتها إلا بعد مطالعة مؤلفات عدة وتصفح أساطير شتى من مخلفات الأقدمين الأمر الذي لا يسهل على كل طبيب اتمامه وهو في معترك هذه الحياة وتركت للشعب الكريم صفحة من صفحات هذا الداء الوخيم أعني بها صفحة السراية والوقاية ضارباً صفحاً عن البنود الأخرى العديدة التي لايسر بمطالعتها الأطباء فعسى أن أكون قد أحسنت عملاً وأن أرضي كلتا الفئتين وهذا حسبي.

السل هو الداء الفتاك الوبيل، هذا الرشاش البعيد المدى السريع الطلقات الذي يميت الالوف، هو ذلك المنجل الذي تحركه قوة غريبة فيحصد الملايين من اغراس هذه البشرية النضيرة، هو هذه الصخرة الصلدة التي تتكسر عليها أمواج العلم منذ خلق الله العالم ولا تزال تتكسر عليها حتى يومنا، هو مصدر يأس الاطباء وقبلة جدهم واجتهادهم، اذا هبوا من رقادهم فلايجاد سلاح فتاك يكافحونه به أو عادوا الى اسرتهم فللتفكير في دواء فعال يقي البشرية شره، هو ذلك المسيطر العظيم الذي لا تغلب له قوة وذلك الحاكم المستبد الجائر الذي لا يرد له أمر، قامت في وجهه

دول العالم ، وشن عليه علماء الأرض جميعهم الغارة فعادوا خاسئين ، أعلن عليه قديماً الهنود واليونان والعرب الحرب الضروس فلم ينالوا منه بغية وقامت عليه أوربة وأميركة في أيامنا قومة واحدة فكان حظها حظ من تقدمها ، هذا هو المرض الذي سأكلمكم عنه أيها السادة وسأسرد في بدء خطابي نشأته منذ عرف الطب حتى يومنا .

لم نجد للسل في التاريخ الطبي ذكراً الا في سنة الف وثمانمائة ق م. عند الهنود الأقدمين الذين كانوا يعدون المسلول كالمجذوم خطراً على من يساكنه ويجاوره وكانوا يجتنبونه تجنب الأفعى وقد منع البراهمة في ذلك العهد الزوج بالفتيات المتحدرات من سلالة فيها بعض من المسلولين مهما كان ثراؤهن ونبل محتدهن . غير أننا لم نقف على وصف مسهب للسل ذكرت به أعراضه وبعض عراقيله الا في زمن اليونانيين أي منذ ٥٠٠ سنة ق.م. فقد ورد أن اوريفونوس الكنيدي (Euryhon de Cnide) كان يعالج المسلولين بلبن النساء والسكي وكان يظن كالمصريين القدماء أن الأمراض مسببة من الافراط في الغذاء ولعل اوريفونوس هذا مؤلف كتاب « الحكم الكنيدية Maximes Cnidiennes » والحمية النافعة في الأمراض الباطنة » الذي ورد ذكره في قانون ابقراط ولم يعثر على نسخة منه حتى الآن على ما أعلم .

وكان السل مرضاً شائعاً فتاكاً في عهد أبقراط أبِ الطب الذي ولد في جزيرة كوس (Cos) من جزر بحر ايجه (Egée) سنة ٤٦٠ ق.م. ومات في مدينة (لاريسه Larissa) اليونانية وله من العمر تسعون سنة . فكان يقال في أسبابه انه ينجم من النزلة التي تحدر الى الصدر ومن انبثاق الأوردة ومن الخراجات الكائنة في الصدر ومن التهاب الجنب المتقيح الذي انفتح في الرئة ولم يذكر أبقراط شيئاً عن العدوى ولعل السبب في اهماله لهذا الأمر شيوع الاعتقاد بعدواه غير أننا متى عرفنا أن لطب

الهنود أثراً في الطب اليوناني وأن الهنود كانوا يتجنبون المسلول كالمجذوم فهمنا أن العدوى كانت أمراً مسلماً به عند اليونانيين .

أما الوراثة فقد جاء ذكرها جلياً فقد جاء ما نصه « المسلول يولد من المسلول » وان هذا الداء يختار اللنفاويين البيض وانه كثير الشيوع بين السنوات الرابعة عشرة والخامسة والثلاثين من العمر وانه يبدأ بنوافض خفيفة وسعال جاف وناخس في الصدر والظهر وأن السعال يشتد بعدئذ وتبدأ النفلات وتزداد .

وكان يظن ابقراط أن نفث الدم وقياءه سبب المرض وليسا عرضاً له . ثم أن المرض يستفحل والجسم جميعه يهزل أما الساقان فتتورمان وهذا دليل واضح على أن اليونانيين عرفوا الدنف (Cachexie) السلي ووصفوه وأما أظافر القدمين واليدين فتنعقف ثم أن الهزال يزداد في ناحيتي العنق والكتفين ويعود التنفس صفيرياً كما لو نفخ في انبوب وينطفئ الصوت ويشتد الوهن ويتناثر الشعر ويبدو الاسهال ويقف التقشع ويموت المريض .

وانذار السل بحسب أبقراط وخيم جداً غير أنه إذا عولج في بدئه يشفى .

وقد ذكر في قانون ابقراط السلان العظمي والمفصلي ولاسيما ما نسميه اليوم داء بوت فقد جاء فيه ذكر خراجات في الورك والمأنة مرافقة للحدبات الظهرية وورد فيه أيضاً ذكر داء بوت العنقي « في المرضى المصابة رئاتهم بعقيدات قاسية صلبة » وذكر فيه أيضاً خلع المفصل الحرقفي الفخذي مع خراجات وتواسير . ولا عجب فاننا لا نزال نرى حتى اليوم في هذا القرن العشرين الذي بلغ فيه الطب أسمى درجاته بعضاً من المرضى المصابين بالتهاب المفصل الحرقفي الفخذي السلي وقد أهملت معالجتهم فافضى مرضهم إلى الخلع المرضي فلا غرابة إذا ذكر أبقراط في عصره ذلك الخلع المنوسر .

وجاء بعد ابقراط ارسطوطاليس (Aristote) (٣٨٤-٣٢٢ ق.م.) وكان فيلسوفاً وطبيباً في آن واحد فلم يضف إلى ماعرفه ابقراط غير شيء وهو قوله ان السل والطاعون ينتقلان بالهواء وهذا القول الذي نطق به

أحد علماء اليونان منذ نحو من ثلاثة وعشرين قرناً صحيح لا غبار عليه لأن السل والطاعون الرئويين ينتقلان بالهواء والطب الحاضر يثبت هذا .

ولم يمض غير القليل على موت أرسطو حتى ظهر في السنة ٣٣٠ ق.م. ديوكلس « Euhée » Dioclès de Carystie) فجاءنا بشيء مستحدث لم يذكره من تقدموه وهو مكافحته لنفث الدم بصمغ الثيران وهو ما نسميه اليوم الهلام أو الجلاتين .

ان ديوكلس قد أملى هذه الأمثولة على القرون التي تعاقبت بعده ونحن لا نزال نستعمل الهلام شرباً ونلجأ إلى المصل الهلامي حقناً تحت الجلد في مكافحة النزوف غير ذاكرين ذلك العبقري الذي طوته ألوف السنين ولا شاكرين له هذه الهدية الثمينة التي نفح بها الطب وأبناءه .

ونذكر من أطباء الرومان ساليوس أورليانوس (Cœlius Aurelianus) الذي قال عن السل أنه قرحة رئوية مع قيح لا ينضب وكان يصف له الترياق والنوم في أرجوحة والسفر بحراً والقراءة بصوت عال وكان يغذي المسلول بافضل الأطعمة وأجودها كالبيض والأرز والنشا والخمر واللحوم .

وهذا الأمر الأخير أعني به تغذية المسلول والاعتناء بأمر طعامه جديد في ذلك العهد الذي كان يظن به أن الطعام مجلبة الداء وأن المسلول كسواه من المرضى الآخرين يجب عليه أن يقلل الطعام .

ويجيء بعد ساليوس ذلك النابغة الكبير والعبقري العظيم الذي لم تنجب القرون السالفة أوسع منه علماً وأغزر منه معرفة أعني به جالينوس (١٣٠ — ٢٠٠ بعد المسيح) وكان له في تاريخ الطب العربي أكبر أثر لان العرب قد استرشدوا بما تركه هذا النابغة فنقلوا العلوم عن مؤلفاته وأضافوا إليها ونقضوا منها ما يحتاج إلى نقض وأثبتوا ماهو خليق بالاثبات . غير أن جالينوس الذي كان له في التشريع القدح المعلى حتى ان مؤلفاته بقي معمولاً بها زهاء ١٢٠٠ سنة ، جالينوس الذي عني قبل كل احد بعلم الغرائز (الفسيولوجيا) ووضع أسسه الأولى ، جالينوس الذي كان للفلسفة من

نبوغه القسط الأوفر لم يترك شيئاً جديداً عن السل بل اكتفى بأن يدقق في ما تركه السلف ويثبت ما وجده حسناً ويهمل ما رآه بعيداً عن الصواب ولهذا فاذا ذكر اسمه مقروناً بالاجلال ومحفوفاً بالوقار كلما ذكر التشريع وعلم الغرائز والفلسفة فهو قلما يذكر إذا بحث في تاريخ السل .

نصل الآن الى عهد جدودنا القدماء ، إلى أطباء العرب الذين بنوا لنا ذلك المجد الزاهر الذي لا يمحوه كرور الأعوام . انهم قد برزوا في كثير من فروع الطب والجراحة وكانوا معلمي العالم ما لم يقل عن ستة قرون فاذا كان لنا ما نفاخر به فبهم وإذا حق لنا أن نرفع الرأس عالياً متى ذكرت العلوم والفنون فبفضلهم وتفوقهم .

كثيرون هم النابغون بين أطبائنا القدماء الذين يطول بنا المقام إذا أتينا على ذكرهم وأخاف أن ينسب إلي التعصب الجنسي إذا ذكرت منهم من تركوا شيئاً عن السل أو لم يتركوا الا الشيء الطفيف ولهذا أمر بهارون وبختشوع وحنين والرازي الكبير الذي يعود اليه الفضل في وصف الجدري والحصبة وابن زهر وأبي القاسم وابن القف وكثيرين سواهم .

واقف عند الامام الرئيس ابن سينا (٩٨٠ — ١٠٣٦) الذي جاء في قانونه عن السل بكثير من الامور الجديدة فقد ذكر فيه ان « نفث الدم ربما لا يتأخر بل يقع في الابتداء إذا كان السل من الجنس الردي » وهذا الأمر قد أثبته الطب الحاضر فقد يكون نفث الدم العرض الأول الذي يبدو به السل الرئوي دون أن يبدو أي عرض آخر قبله .

وقال أيضاً « وأما قروح الرئة فقد اختلفت الأطباء في أنها تبرأ أو لا تبرأ البتة لان الالتحام يفتقر إلى السكون ولا سكون هناك وجالينوس يخالفهم ويزعم أن الحركة وحدها لا تمنع الالتحام ان لم تضف اليها سائر الموانع والدليل على ذلك أن الحجاب أيضاً متحرك ومع ذلك فقد تبرأ قروحه » اه .

لعمري ان هذه الصفحة الخالدة في تاريخ السل أعني بها حاجة السل الى السكون وامتناع السل الرئوي عن الشفاء لتحرك الرئة حركة مستمرة الا نرى أن المفصل متى سل يثبت ويحكم عليه بالجمود والقسط ؟ ألم نلاحظ أن أفكار الاختصاصيين بالسل قد اتجهت في جميع أقطار العالم الى ايجاد طريقة يثبتون بها الرئة ليقربوا منها الشفاء وان الريح الصدرية أو طريقة فورلانيني وتصنيع الصدر الجراحي ليست غايتها إلا منع الرئة موقتاً عن الحركة فهل أقررنا لذلك النابغة العربي الذي جاءنا منذ نحو من عشرة قرون بالشريعة التي لم يبدلها العلم بل لم يزل جاداً وراء تحقيقها .

وجاء أيضاً في قانونه ما حرفه « وقد يعرض المسلول أن يمتد به السل مهلاً إياه برهة من الزمن وكذلك ربما امتد من الشباب الى الكهولة وقد رأيت امرأة عاشت في السل قريباً من ثلاث وعشرين سنة أو أكثر قليلاً » اهـ .

والبرهة لغة الوقت الطويل لا كما يظن البعض أنها الوقت القصير فيكون إمامنا قد وصف الشكل المزمن من السل الأمر الذي لم يصرح به أحد قبله .

وقد عرف ابن سينا السوس والزرنيخ والقطران والأفيون المستخرج من الخشخاش والكافور في معالجة السل وقال ان امرأة مسلولة بلغ من أمرها أن علتها طالت وأضنتها واستدعيت من تهيء لها جهاز الموت فقام أخ على رأسها عالجها بأقراص الكافور مدة طويلة فعاشت وعوفيت .

فهو يشير باستعمال الكافور ويصف منه الجرعات الكبيرة ونحن نرى أن أطباء القرن العشرين وجراحيه قد عادوا إلى استعمال الكميات الكبيرة من الكافور وقرروا ما كان وصفه ذلك النابغة في بدء القرن الحادي عشر .

وقد أشار ابن سينا في معالجة السل بلبن الآتن التي وبيّن فائدته ولم يكن يعلم حينئذ أن في ذلك اللبن التي المواد التي تقيها الطب الحاضر بالحيوين أو (الفيتامين) ونسب اليه تلك الخواص الناجعة .

واتبع الأوربيون بعد أن انتقل الطب اليهم من العرب خطة ابن سينا في معالجة المسلولين بمضارة الحليب من جميع أقطار أوربة لتناول هذه المضارة فيها تناولاً منتظماً وكان يأتي المصل بفوائد جليلة يقر بها المسلولون غير أنه أيحق لنا أن ننسب تلك الفوائد إلى مصل الحليب أم الى تلك البلاد الجبلية المطلقة الهواء المعرضة لنور الشمس ؟

ووضع ابن سينا شروطاً لتناول اللبن فقال مانصه :

« لو أمكن أن يمص اللبن من الضرع (وهو يعني ضرع الاتان) لكان أولى » وقال أيضاً « يختار من الآتن ماوضعت منذ أربعة أو خمسة أشهر » وقال « تغسل العلبة بالماء الحار ولاسيما اذا كان قد حلب فيها من قبل فتنقع فيه حتى يتحلل ما كان فيها » وفي هذا القول منتهى الحكمة لأنه لحظ أن الحليب يختمر ويتبدل تركيبه ويعود مضراً وان العلبة التي كان يحلب اللبن فيها بدون أن تغسل جيداً أداة ضرر شديد اذا ما جمع الحليب فيها فاشار بغسلها بالماء الحار ولم يقل بالماء البارد لأنه عرف أن الماء الحار أفضل في تنظيف ماعلق بتلك العلب من فضلات الحليب ولا يجوز أن ننسب كلام ابن سينا في ذلك العصر مهما جاشت في قلوبنا النزعة العربية الى أنه كان يرمي باستعماله الماء الحار الى التعقيم والتطهير فما كان التعقيم ليخطر له ببال .

ووصف ابن سينا طريقة اعطاء اللبن وكميته ونصح المسلول بالاكثار من اللحوم على أنواعها .

عفواً أيها السادة اذا أطلت الكلام عن ابن سينا وأسهبت في تعليل بعض المستحدثات التي جاء بها عن السل فمن أحق منا نحن العرب باظهار ما أوجد جدودنا القدماء واستنبطوا بابداء فضائلهم ورفع الستار عن علومهم التي استنار بها الغرب حين كان يتمرغ في دياجير الجهل . فاذا نحن طمسنا فضلهم فمن تراه ينطق به . ان الواجب يقضي علينا أن نرفع راية

الجدود وألا نكتفي بالفخر بهم بل أن يكون لنا منهم مثال نتبعه في نهضتنا العلمية فتبني بعلومنا أسس استقلالنا المنشود .

أما الآن وقد ختم ذلك العصر المجيد عصر العرب فلنرَ التطور الذي تطوره السل بعد ان انتقل السل الى الغرب . لم تجل عدوى السل جيداً ولم يكتب عنها في التاريخ الطبي شيء صريح إلا في القرن السادس عشر في ذلك الزمن الذي سماه فراكستور (Fracastor) من فارونة في ايطالية وألف ثلاثة كتب سماها : العدوى والأمراض المعدية ومعالجتها سنة ١٥٤٦ وهي مؤلفات جزيلة الفائدة حددت بها العدوى وأعلن فيها مبدأ جديد عن أسباب الأمراض السارية قال فراكستور في ذلك العهد « الحميات تنجم من بذور لا تستطيع حواسنا ادراكها وهي لا تحدث هذه الأمراض فحسب بل تنقلها أيضاً الى الآخرين فالعدوى اذن هي انتقال هذه البذور أو العفونة من المريض الى السليم مرضاً شبيهاً بالمرض الذي كان مصدراً لها وتنقل هذه البذور باللمس أو المساكنة أو عن بعد مهما كانت واسطة انتقالها » ويقول أيضاً لكل من الجدري والحصبة والطاعون والجرب والرمد الصديدي والسكاب والزهري والسل بذور خاصة به تنقلها الى الآخرين وهو أول من قال عن السل « أنه ينتقل بمساكنة المسلول ولبس أثوابه » وقد ذكر في مؤلفة « أن أثواب مسلول كانت السبب في نقل السل الى صحيح ارتداها بعد موت صاحبها بسنتين » .

لعمري لابد لنا من الاقرار بفضل هذا المفكر الكبير وكم في كلامه من حكم وكم في نظراته من حقيقة لأننا لو بدلنا كلمة بذور بكلمة جراثيم لكانت لنا الحقيقة الناصعة التي جاء بها باستور بعده بثلاثة قرون فهو قد نظر بعين بصيرته الثاقبة قبل أن تكون له تلك المجاهر المكبرة الى تلك الخلائق المتناهية في الصغر فقال عنها أنها بذور وان حواسنا لا تستطيع ادراكها ، عرفها قبل أن يراها فيا له من ثاقبة . ولم يكتف بهذا بل

عرف أن لكل مرض بذرة خاصة به وان البذرة الواحدة لا تسبب هذه الأمراض المتنوعة فهو قد أوجد فكرة الجراثيم ووضع فكرة الاستقلال الجرثومي أيضاً .

وبعد أن لفظ فراكستور مبدأه هذا عن عدوى السل بقيت هذه الفكرة منغرسة في ايطاليا فقد تكلم عنها بعده بولس زكياس (Paul Zacchias) في مؤلفه المسمى « الأسئلة الطبية الشرعية » وقد تساءل فيه عما اذا كان يحق للمرأة السليمة أن تهجر زوجها المسلول .

وفي آخر القرن السادس عشر جاء ماركوليالي (Merculiali) فعدل بعض التعديل فكرة فراكستور وأقر بعدوى السل وانتقال الأمراض حسبما ذكر فراكستور غير أنه خالفه في أمر تلك البذور وقال انها نوع شبيه فعله بفعل السموم .

وفي نظر هذا الايطالي كثير من السداد فهو لم يقنعه أن بذوراً تدخل الجسد وتحدث ما تحدثه تلك الأمراض الحادة الفتاكة بل ان هناك أمراً أعظم من هذا ان هناك شيئاً من السموم يلقي ويسمم البدن وكأنه يقول ان تلك البذور أو جراثيم اليوم لا تؤثر بدخولها البدن فقط بل تفعل بمفرزاتها أو ذيفاناتها (توكسينها) فياله من نظر ثاقب بعيد المرمى .

واشتهر في القرن السابع عشر بين الأطباء الذين عنوا عناية خاصة بالسل ريشار مورتون (R. Morton) الانكليزي (١٦٩٨) وكان اكليريكياً في بدء حياته ومن اسرة شريفة غير أنه ترك الثوب الى تعلم الطب . فقد نسب سل الرئة الى عقيدات تلتهب وتتقيح وكان يظن أنها تنجم من دم متخثر وكان يعتقد أيضاً بعدوى السل فقد قال عنه « أنه يعدي الاصحاء الذين ينامون والمسلول في فراش واحد كما تعدي الحمى الخبيثة » ولكنه كان يعتقد بالوراثة خاصة وقد قسم السل ثلاث درجات : الابتدائية والوسطى والانتهائية وهي درجة اليأس . فالاولى تناسب هجوم كمية زائدة من مصل

الدم على الرئة ، والثانية تناسب تكون المقيدات ، والثالثة التهاب الرئة وتقيحها .

وهو يروي حادثة سل استمرت خمسين سنة كحادثة اللورد هارت وحادثة أبيه الطبيب الشهير الذي قضى حياته كلها وهو يسعل ومات سنة ١٦٥٨ . وقد عني مورتون بالسل خاصة لأنه كان ابن طبيب مسلول وكان يخشى الوراثة وانتقال هذا المرض بها اليه ، وقد اهتم اهتماماً جزيلاً في معالجة السل بكثرة التغذية والأمور الصحية .

فمورتون اذن جاءنا بأمرين جديدين : العقيدات الرئوية التي لم يذكرها أحد قبله وقد أثبت الطب الحاضر تكونها في الرئة ودرجات السل الثلاث التي لا تزال نذكرها .

وفي القرن نفسه قام لازار ريفيار (Lazare Rivère) (١٥٨٩-١٦٥٥) في فرنسة ووضع مؤلفاً أسماه الممارسة الطبية (Pratique Médic.le) لايخلو من الفائدة الطبية ذكر فيه بضع مئات من المشاهدات بينها العدد الوافر عن عدوى السل ومنها مشاهدة غريبة في بابها وهي أن أحد المرضى بعد أن سل كان يستطب برضع ثدي امرأة فسلت بدورها وماتت بعد أن نقلت العدوى الى أختها التي عالجت المرض فغلبته وشفيت غير أن هذا المريض المنكود الحظ الذي كان السبب في تفشي الداء وموت تلك المرأة البائسة لم تجده المعالجة نفعاً فقضى ضحية دائه الوبيل .

وفي آخر القرن السابع عشر وبدء الثامن عشر جاء بالليني (Bellini) الايطالي (١٦٤٣ - ١٧٠٤) فكان أول من ذكر امكان التوسط الجراحي في سل الرئة .

وقد برز في القرن الثامن عشر فون سويتن (Von Swieten) (١٧٠٠ — ١٧٧٢) الهولندي المولد النمساوي الاقامة . اضطهد هذا الطبيب الشهير في بلده فرحل الى انكلترة ومنها الى فينة حيث نال شهرة سريعة .

ولم يكتب عن السل شيئاً جديداً سوى أنه أشار باستعمال حزام العنق في السل الرئوي وبخزع الرغامى في الحالات الخطرة .

وفي العصر نفسه قام في ايطالية مورغاني (J. B. Morgani) الشهير (١٦٨٢ — ١٧٧١) وكان يخشى السل خشيته للافعى حتى انه لم يكن يجسر على تشريح جثة المسلول خوفاً من انتقال العدوى اليه فأيد فكرة فراكستور بعدوى السل ولم يكتف بهذا بل انه وصف قبل أحد التهاب السحايا السلي وأورد عنه مشاهدة جزيلة الفائدة : ابنة في الثانية عشرة متوقدة ذكاء فقدت اختها وأخاها بالسل وأصابها هي نفسها بعد سنة من فقدها التهاب في الرئة اليسرى ثم اعتراها صداع فوق الوقب ولم يمر عليها يوم واحد على ظهور هذا العرض حتى أخذها الهذيان وثبتت عيناها واعترتها الاقياء وانتابتها حركات تشنجية عقبها نوع من السبات كانت تتخلله آونة بعد أخرى نوب تشنج شديدة وزلة (ضيق نفس) ثم قضت وبعد أن فتحت جثتها بدا في قاعدة الدماغ مهل (مصل صديدي) نسب اليه المرض .

وظل الشعب في ايطاليا يخاف السل خوفاً شديداً ويرتعد لدى ذكر اسمه لما زرعه الاطباء في قلوب العامة عن سرعة عدواه فقد كتب رولان (Rullin) (١٧٠٨ - ١٧٨٤) ما حرفه « متى ثبتت اصابة شخص بالسل كان يرقن فراشه وأغطيته وأثوابه وأدوات طعامه وشرابه وجميع ما يستعمله ومتى مات يحرق هذا الأثاث ويتلف وقلما كان يسمح باستعماله بعد تبخيره . أما الغرفة فتقشر جدرانها وتطلى بطلاء جديد وتغسل أرضها وتفتح نوافذها وأبوابها وتبقى معرضة للشمس والهواء سنة كاملة قبل أن يسمح بسكنها .

وقد استولى الرعب على قلوب الايطاليين استيلاء غريباً وبلغ منهم الخوف من السل مبلغاً بعيداً فان شيريلو و كوتونيو (Cirillo et Cotugno) بعد أن استرشدا بارشادات أسكوبار (Escobar) (١٧٧٦) وهو أول من أشار بتعقيم نفلات المسلولين وقما في نابولي على ذلك القرار التاريخي الشهير

في ٢٠ ايلول سنة ١٧٨٢ واذيع على الملأ بامر فرديناند في الشوارع وبعد النفخ في الأبواق تنبيهاً للشعب وخلاصته أن يعزل المسلول بعد أن تحقق مرضه وأن كل طبيب يعاين مسلولاً ولا يعلن أمره يغرم في المرة الأولى غرامة كبيرة واذا عاد الى اقتراف هذا الجرم ينفى عشر سنوات . أما أثاث غرفة المسلول فينقل بعد موته إلى خارج المدينة ويبخر بابخرة متنوعة ويغسل » .

وقد ادعى رولان أنه شاهد أكثر من ألف حادثة عدوى في زمن ممارسته الطبية أما بوسكيون (Bousquillon) فلم يرَ والمعهدة عليه حادثة عدوى واحدة .

وقد تغلبت فكرة بوسكيون في فرنسة وبعض أجزاء أوربة حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر اذ كشفت عصيات كوخ لان اختبارات فيلمن عن التلقيح بالسل لم تثبت في البدء عدوى هذا الداء .

ومن الوجوه الساطعة في القرن الثامن عشر برسيفال بوت (١٧١٣ – ١٧٨٨) الذي وصف سل الأجسام الفقرية فسمي باسمه « داء بوت » وكان يعالجه بسكي الأقسام الناتئة من العظام المصابة وقد وصف أيضاً الشلل المرافق له ونسبه الى تخرب النخاع الشوكي فقد قال تتنخر أجسام الفقار وتخرب القسم الغضروفي بينها فيضغط النخاع الشوكي ويصاب بالتبدل ويشل المريض » ونسب هذا المرض الى الداء الخنازيري ونفى علاقته بالمرض وقد كتب عنه ما حرفه « أن المرض الذي يحدث هذه الأحوال في النخاع الشوكي والأقسام المجاورة له هو الداء الخنازيري أعني به المرض نفسه الذى يحدث تكشفاً في الشفة العليا وضخامة في عقد العنق وتحت الذقن وسعالاً جافاً وضخامة وتخراً في العظام الأخرى .

فاذا كان ابقراط قد وصف سلي المفاصل والعنق دون أن يعلم سببها بل ان وصفه لها ذلك الوصف الجميل كان يوافق على مانشاهده اليوم من

أعراضها فان برسيفال بوت قد بين علاقة تنخر الفقار بالسل أو بالداء الخنازيري فلا أحق منه أن يسمي هذا الداء باسمه وأن يبقى اسمه خالداً تردده من بعده ألسنة الاطباء أبد الدهر .

نصل الآن الى القرن التاسع عشر وهو القرن الذي كشف به النقاب عن السل فبدا أمره جلياً نرى في بدء هذا القرن غسبار لورن بايل (Gaspard Laurent Bayel) (١٧٧٤ – ١٨١٦) الذي درس السل الرئوي درساً دقيقاً وبين أن العقدة الرئوية قد تتلين وذكر أنه كان يرى في جثث المسلولين عقيدات عديدة مشابهة للعقيدات الرئوية في الاعضاء الاخرى الكبد والكلية والمساريقا وغيرها غير أنه لم ير منها في الدماغ وقد نسب جميع هذه العقد الى سبب واحد حتى أنه لفظ هذه الكلمة الحرض السلي (Diathèse tuberculeuse) .

يتبين لنا من هذا أن الأفكار بدأت تتجه منذ بدء القرن التاسع عشر الى توحيد المظاهر المختلفة التي يظهر بها السل وان أطباء ذلك العصر بعد أن رأوا في العقد اللنفاوية والاحشاء والرئة عقيدات متشابهة كل الشبه خالجهم الشك في أن هذه المظاهر جميعها ناتجة من سبب واحد .

وجاء في الربع الأول من القرن التاسع عشر ذلك النابغة الكبير لاينك (Laennec) (١٧٨١ – ١٨٢٦) طبيب مستشفى نكر الذي تفوق على معلمه كورفيزار (Corvisart) وسلح الاطباء بسلاح ماض في تشخيص أمراض الرئة والقلب وقد عني لاينك خاصة بالسل وأثبت وحدته جازماً فيها أكثر من غسبارلورن بايل بقوله « مهما كان الشكل الذي تظهر به المادة السلية فهي في بدئها مادة سنجابية شفافة بعض الشفوف ولا تلبث أن تعود صفراء ظليلة قاسية جداً ثم انها تلين وتميع ميعاً متجانساً شبيهاً بقوام الصديد فتنفرغ في القصبات تاركة تجاويف كانت تسمى قبلاً قروح الرئة أما نحن فنسميها كهوف الرئة .

فهل أجلى من هذا التصريح عن وحدة السل في ذلك الزمن الذي لم يرد فيه المجهر لعالم الوجود اكتشافاته المعجبات .

واننا لنعجب أشد العجب كيف أن هذا النابغة لم يكن يعتقد بعدوى السل كثيراً فقد ورد في كتابه مانصه « لايخيّل اليّ أن الأثواب الصوفية وفرش المسلولين التي يحرقونها في بعض البلدان ولا يكادون يغسلونها في فرنسة قد نقلت السل الى أحد » مع أن/قلب تلك المؤلفات الطبية العديدة التي نشرت قبل عهد لاينالك وقد استقينا منها الكثير من شواهدنا التاريخية يرى فيها المشاهدات المثبتة لعدوى السل وأظن أن الشك كان يخالج لاينالك في صحتها وانه كان ينتظر مشاهدة حوادث العدوى بعينه ليقر بها فلم يتح له ذلك لان السل نفسه حصد بمنجله تلك الغرسة النضيرة .

وقد أقر لاينالك بالتلقيح اذ قال متسائلاً « أيحدث التلقيح المقصود سلاً أو على الأقل سلاً موضعياً ؟ » وأجاب عن هذا السؤال بقوله « ليس لي سوى حادثة واحدة اقدمها برهاناً على صحة التلقيح بالسل وهي وان تكن مفردة جديرة بالذكر » وقد كنا نتمنى لو أن تلك الحادثة لم تقع اذن لكانت طالت حياة هذا العالم ولكانت البشرية استفادت من علمه الجم وقد عني لاينالك بتلك الحادثة المفردة نفسه لانه وهو ينشر فقار مسلول سنة ١٨٠٦ جرح سبابته اليسرى فبدت مكان ذلك الخدش عقيدة سلية فكواها مرات عديدة بزبدة الانمد فندبت غير أن تلك الجراثيم التي كانت قد تغلغلت في جسده لم تلبث أن عادت الى محاربته فاصيب بسل رئوي وقضى في ١٣ آب سنة ١٨٢٦ .

مات ذلك العلامة ضحية الواجب فعرف العالم قدره وهبت بلاده الفرنسية منذ سنوات فاحتفلت بذكرى مرور مائة عـــام على موته وكثيرون هم الذين يموتون هذه الميتة الشريفة فتبلى أجسادهم وأعمالهم معاً لأن الأمة التي ينتسبون اليها لا تكرم علماءها .

ان تكريم العلماء أيها السادة صفة سامية دالة على حياة الأمم ورقيها واننا لنجذل غاية الجذل بان نرى هذه الروح قد دبت في جسم البلاد العربية فما هذه اليوبيلات التي تقام هنا وهناك لتكريم بعض نوابغنا الادليل على أن الحياة قد دبت فينا .

وما أن انتصف القرن التاسع عشر حتى بدا الى الوجود ذلك العلامة الالماني الكبير الذي كشف النقاب عن سبب السل فسكتت الالسنة وحسم الجدال وكان لاكتشافه الضجة الكبيرة في أقطار البسيطة وقد عرفتم أيها السادة من أعني انني أعني كوخ (Koch) (١٨٤٣ — ١٩١٠) توصل هذا العلامة سنة ١٨٨٢ الى كشف عصيات السل فاثبت وحدة السل ونوعيته وعدواه .

وكان كشفه أكبر برهان على صحة الفكرة التي جاء بها لاينالك أوسداد الفكرة الفرنسية وانصع دليل على فساد الفكرة الالمانية المنافية لها وهي فكرة فيرخوف (Virchow) وريندهارت (Reindhardt) القائلة بعدم وحدة السل ورأي أمبيس (Empis) الذى كان يعد السل الدخني (granulie) مرضاً خاصاً لاعلاقة له بالسل .

ولم يعد من مجال للشك في عدوى السل ، هذه العدوى التي قالت بها الأجيال السابقة منذ القدم حتى أتى لاينالك فنفاها وكان نفيه لها كما أوردنا خروجاً عن الحقيقة .

انني اقف عند هذا الحد بعد أن عرضت معكم الأجيال جيلاً جيلاً منذ الهنود الى القرن الماضي وبعد أن أوضحت لكم تطور السل في هذه القرون وما أدخله كل قرن منها من الأمور الجديدة عليه وانني أرى أن الوقت قد حان لأمر الى الشق الثاني من محاضرتي وأحول نظري عن الزملاء الكرام الى الفئة الثانية من مستمعيّ لاحادثهم عن العدوى والوقاية .

وقبل أن أدخل لب الموضوع أقسم السل قسمين : قسماً يعرفه الشعب

وهو السل الرئوي الشديد الخطر على المسلول ومن يحيط به وقسماً آخر لايعرفه غير الاطباء لأن معظم الشعب لم يتعود سماعه أعني بـه أشكال السل الأخرى من عظمي ومفصلي وعقدي وكلوي ومعوي وصفاقي (بريطوني) وسحائي وغير ذلك .

والغاية من هذه القسمة أيها السادة التفاوت الشديد بين عدوى القسم الأول الشديد والقسم الثاني الخفيفة كما سيبدو لكم الأمر واضحاً في سياق محاضرتي . وكلا القسمين متفش تفشياً راعباً في بلادنا السورية ومن أدرى بتفشيها منا نحن معشر الأطباء ولاسيما أطباء المستشفيات الذين يرون في يومهم الواحد عشرات المرضى وقد أناخ عليهم هذا الداء بكلكله فاذوى فيهم نضارة الحياة أو أتلف فيهم بعض الأعضاء .

أقول هذا والأسف آخذ مني مأخذه الشديد لأن معدل السل بين مستشفانا العام ومن يأمون عيادته الخارجية مستشفين لا يقل عن عشرين بالمئة وهو معدل لا يستهان به يدعو الحكومة الى اتخاذ التدابير الفعالة لقمع هذا الداء ومكافحته أشد المكافحة .

وبما أن العدو لا يتقى شره ولا تصد هجماته الا متى عرف مقره وادركت الطرق التي يختطها في الهجوم كان علينا أن نعلم مقر عصيات السل وطرائق انتقالها لنتخذ الوسائل الفعالة لاجتنابها .

أين نجد عصيات كوخ أو العوامل المرضية المحدثة للسل ؟ سؤال لا تصعب الاجابة عنه . اننا نجدها في الهواء الذي نستنشقه ، نجدها في الأغذية التي نتناولها ، نجدها في السوائل التي نشربها ، نجدها على اليد التي نصافحها والشفاه التي نقبلها . نجدها في فمنا وبلعومنا نجدها حيث سرنا في الشوارع والمعابد والمسارح والبيوت والمدارس ، انها منتشرة انتشاراً مخيفاً تحيط بنا وتهاجم أجسادنا من كل مكان وصوب .

كل هذا حقيق أيها السادة وليس فيه شيء من الغلو فان السيدة التي

تكنس بيتها في الصباح مثيرة من الغبار ضباباً تستنشقه وتنشقه أولادها وزوجها تعمل على نشر هذا الداء وتفشيه دون أن تعلم أو تدرك فداحة الأمر الذي تعمله .

وتلك المكانس التي تحركها أيدي العملة في الشوارع في صباح كل يوم وعشيته بينما الناس يروحون ويجيئون في الأزقة والشوارع كادحين وراء أشغالهم أدوات تعمل للسل ومعامل تفوض بها أبنية الأجساد البشرية لانها تنثر في الهواء ما كان لاصقاً بالأرض وتسهل دخوله في أنوف المارين وأفواههم .

وتلك الأيدي التي نصافحها أو نقبلها وقد انتشرت عادة لثم الأيدي بيننا ، أيد لا تحمل الينا السلام الذي نتوسمه ولا الحب الذي نتوخاه وننشده ، بل أيد مفعمة بعصيات السل وسواها من الجراثيم القتالة فعلينا اجتنابها ما أمكننا .

وتلك الوجنات والشفاه التي نحن شوقاً اليها ونرسم عليها قبلة الهيام والوجد وجنات وشفاه لا تنقل الينا الا الموت الزؤام ، ولو أننا عرفنا هذا لكنا امتنعنا عن تلك اللذة ناظرين الى ماوراءها من الخطر المقبل ولكنا نحكم العقل في أمورنا قبل العواطف والقلب .

وتلك المواد الغذائية التي تعرض في الأسواق وقد كساها الغبار ثوباً سندسياً جميلاً ووشمها الذباب بخيلانه السود فمادت كأنها الوشي المعلم مواد لا تغذي البدن وتجلب العافية بل تؤذي الجسد وتقصر الحياة بما تحمله من الجراثيم والأقذار .

انني أسمع البعض يهمسون قائلين أنميت أيها الطبيب فعل النار في التعقيم أولا تعلم أن المواد الغذائية تمر بالطنجرة والمقلاة قبل أن تصل الى الفم والمعدة فيموت ما فيها من الجراثيم وأن الخضر التي تؤكل غضة تغسل والغسل أحسن مطهر آلي يكنس الجراثيم كنساً إن لم يقتلها قتلاً !

لا أنكر هذه الملاحظة أيها السادة ولا أنسى هذا التنبيه الوجيه ولكن ما قولكم بتلك المعجنات تحمل على الرؤوس أو تعرض في الشوارع ينفخ الهواء عليها فيلصق بها من الغبار وذرات التراب ما يعيدها شهية لذيذة ، وما رأيكم في ثمر التوت الذي لايستحم في الماء الحار ولا يتبرد في الماء البارد والأمثلة كثيرة يطول بنا عدها لست أنكر أيضاً أن إدارة الصحة تكافح هذه الأمور مكافحة شديدة وانها تعاقب من يخالف القوانين التي تسنها غير أن إدارة الصحة لاتتمكن على الرغم من سهرها الدائم أن تعين لكل بائع مأموراً يرقب حركاته ، فاذا لم يكن فينا ماردعنا فلا شيء يقلعنا عن هذه العادات المضرة .

ولكن اذا كانت عصيات السل منتشرة هذا الانتشار الهائل فهل من سبيل الى اجتنابها وإذا كانت سابحة في الهواء الذي نستنشقه ، وفي اللبن الذي نشربه وفي الغذاء الذي نأكله فهل من وسيلة الى تعقيم الهواء والامتناع عن استنشاقه أو هل من سبيل الى المعيشة بدون طعام وشراب ؟

اذا لم يكن تعقيم الهواء ممكناً ولا الامتناع عن الطعام والشراب مستطاعاً أيها السادة فان اجتناب عصيات السل والقضاء عليها ممكنان متى بحث في الأمر ونظر اليه بعين الروية .

لاتقوم الوقاية من السل بمنع الباعة عن عرض الطعام والشراب في الأسواق ولا بالامتناع عن المصافحة والتقبيل ولا باجتناب كنس الأسواق قبل أن ترش مع أن هذه الأمور جميعها مفيدة كل الفائدة لا يعفى شخص من معرفتها والتبشير بها بل تقوم الوقاية من السل بأمر واحد فقط يضاف اليه أمر آخر يلحق به . وهذا الأمر الواحد هو الاس الذي تبنى عليه الوقاية فاذا ما حفظناه ورعيناه كان لنا أن نفاخر باننا كسرنا هذه القيود الثقيلة التي كبّل بها السل بلادنا السورية واذا لم نحفظه ولم ندرك شأنه بقي كل منا عرضة لهذا الداء الوبيل لأن تقيد بعض الأفراد بالقواعد

المتبعة في اتقاء هذا الداء لا يجدي المجموع نفعاً اذا لم يقم المجموع بعمل واحد مشترك . فما ذلك الاس يا ترى ؟ هو أيها السادة محاربة العصيات في وكرها ، هو اتلافها قبل انتشارها لان وكر الافاعي يسهل التغلب عليه ما زالت ثعابينه مجتمعة ولكن متى تفرقت وانتشرت امتنع الأمر وهو يزداد امتناعاً متى بنت كل أفعى وكراً جديداً وتكاثرت فيه تكاثراً راعباً .

اذن لابد من الاستيلاء على تلك العصيات في وكرها فاين هو هذا الوكر ؟ هو ولاشك المسلول نفسه فاذا ما اعتنينا بالمسلول العناية الواجبة وأتلفنا ما يقذفه من جسده من ملايين الجراثيم في كل دقيقة حقت لنا الغلبة على هذا الداء الوبيل وعاد هواؤنا نقياً وماؤنا عذباً وغذاؤنا مستطاباً وإذا نحن أهملنا ذلك العش لم تجد الاحتياطات الأخرى التي نتخذها نفعاً قلت ان المسلول يقذف من جسده بملايين الجراثيم فكيف يقذف بها ؟ انه يقذف بها من رئتيه مع التفلات متى كان السل رئوياً ويلقي بها مع الغائط أو البول متى كان السل معدياً أو كلوياً مثانياً ويطرحها مع الصديد متى كان السل مفصلياً أو عظمياً أو عقدياً فعلينا اذن أن نتلف في ما يلقيه المريض تلك الجراثيم .

أما الصديد فقلما يكون سبباً لانتشار السل لأن المسلول المصاب بسل عظمي أو مفصلي مسلولٌ لا يقوى غالباً على التجول ولأن آفته تضطره إلى طبيب أو مضمد يضمد جروحه فيقوم الطبيب بهذه المهمة ويأمر بحرق ما نزعه عن ذلك الجرح من القطن والقزي (الشاش) الملوثين .

ويقرب منه المصاب بسل معوي أو بولي لانه ولو كان قادراً على التجول لا يلقي بمفرزاته أعني ببوله وغائطه الا في المراحيض فتسير في تلك المجاري القذرة فلا يكون منها خطر شديد وان لم تخلُ منه .

وما أقوله أيها السادة يوافق المدن التي تراعى فيها القواعد الصحية مراعاة دقيقة غير أن مدينتنا عاصمة البلاد السورية لا تزال بعيدة عن اتباع

هذه القواعد فاذا كان المصاب بسل بولي لا يعد خطراً كبيراً على المجتمع في البلاد الأخرى فهو خطر جسيم في مدينتنا العزيزة وانكم تعلمون السبب لانه لا يحتاج الى برهان ذلك لأن المصاب يبول كما يبول سواه في الازقة والمنعطفات فتلقى مع بوله عصيات كوخ تتناقلها أحذية المارين وهي رطبة ، وأجنحة الريح متى جفت فلو أن المجلس البلدي أخذ لهذا الأمر عدته وأكثر من المباول في الأزقة وعاقب المعاقبة الصارمة من يجاسر على البول في سوى تلك الأماكن المعدة لهـذه الغاية لعاد المصاب بسل بولي أقل خطراً على المجتمع الذي يعيش فيه فعسى أن تنال هذه الامنية .

غير أن الخطر كل الخطر والبلية كل البلية في ذلك المصدور المصاب بسل رئوي فهو في دوريه الاول والثاني لا يلزم فراشه بل ينتقل في الأزقة والشوارع ويزور الاصدقاء فيملأ الأماكن التي يمر بها بتفلاته فلا تلبث أن تجف فيبددها الهواء فتتطاير ذراتها معه وتنتقل الى رئات الناس ومعدهم ومتى كان المسلول أرقى شأناً وأحسن حالاً تفل في منديله وفي هذا من الضرر مالا يقل عن ذاك لان ذلك المنديل تجف فيه التفلات فيكون حظها حظ تلك التي القيت على الارض ولأن ذلك المنديل ينتقل من يد لغير ليغسل فيكون أداة لتفشي الداء والمصدور لاتستطيع مراقبته فهو يتفل خلسة حيث أراد دون أن يراه أحد ، بيد أن رفيقه المصاب بسل بولي لايتسنى له أن يبول في الأزقة متى أراد فاذا لم ننبه ذلك المريض لهذا الخطر الفادح وإذا لم نجدّ في تعقيم تلك التفلات واتلاف الجراثيم فيها ذهب تعبنا جزافاً فكيف نتوصل الى هذه الغاية ؟ العمل سهل وهو أن نحذر المريض من البصق على الأرض أو في منديله وأن ندعوه الى البصق في مبصقة أو وعاء معد لهذه الغاية متى كان في بيته وأن نضع في قعر هذا الوعاء مادة مطهرة وأحسنها كبريتات النحاس الرخيصة الثمن ويجب أن يظل ذلك الوعاء مغطى بغطاء في الصيف لئلا يقع الذباب على البصاق فينقل ماعلق بارجـــله الى

المواد الغذائية ، ويكون سبباً في نقل الداء الى الآخرين .

ومتى خرج المريض من بيته وسار متنزهاً وجب عليه أن يضع في جيبه مبصقة خاصة يبصق فيها وهذا الأمر لا يجوز التساهل به مطلقاً . وتفرغ المبصقة كل يوم في المرحاض ، ولا يجوز افراغها على الأرض قريباً من البيوت متى كان المريض في قرية لئلا تقع في الورطة الاولى التي كلمتكم عنها ويفضل افراغ المبصقة في وعاء خاص واغلاء محتواها ، وتعقيم المبصقة نفسها بالاغلاء .

وعلى المسلول أن يغسل فمـه مرات عديدة في اليوم وأن يتعاشى عن تقبيل أهله وأصدقائه وعلى الرجل أن يحلق ذقنه وشاربيه أيضاً لئلا يكون شعرها محشراً للجراثيم وتفرز المسلول أوانٍ خاصة به شوكته وملعقته وأطباقه وسكينه ومنشفته وقدحه وبكلمة مختصرة جميع ما يحتاج اليه وتعقم هذه كلها بالاغلاء بعد كل استعمال .

اننا اذا صنعنا هذا نكون قد قضينا على السل في مهده وحاربناه في وكره . قلت أيها السادة ان هذا اس الوقاية وذكرت لكم ان أمراً آخر لابد من الحاقه به فما عساه أن يكون يا ترى ؟

هو ايجاد مناعة في الأشخاص المعرضين للسل . ومن هم المعرضون ؟ كل منا معرض لهذا الداء غير أن درجة التعرض تتفاوت وأكثر الناس تعرضاً المضعفون والناقهون من الأمراض المفنة ومدمنو الكحول والولدان المولودون من آباء وأمهات مسلولين أما الفئة الأولى فعلينا أن نبعد أفرادها عن مواطن الداء وألا ندعهم في المستشفيات التي يقطنها المسلولون وان نبعث بهم الى القرى النقية الهواء ريثما يعود اليهم نشاطهم ويستعيدون قوام فيكون لهم من كرياتهم البيض أكبر مدافع ومنع حصن .

وأما الولدان هؤلاء المخلوقات الصغيرة الأجساد اللطيفة الرئات الذين يولدون

وفيهم للسل استعداد شديد فكيف نفهم عائلته وندرأ عنهم شر عدواه ؟

كانوا فيما مضى يبعدون الطفل عن أمه وأبيه ويحرمونه عطفهما ويبعثون به الى القفر كما يصنعون اليوم بالناقهين من الأمراض المعدية والمضعفين ، كانوا يمنعون المشبوهين عن تقبيل اولئك الاطفال والاقتراب منهم ، كانوا يجتنبون كناسة الدور التي يسكنونها ويمسحون الغبار عن أثاثها مسحاً ، كانوا يقون أولئك الصغار بجميع أنواع المقويات . أما اليوم فقد أوجد لنا العلم طريقة جديدة للوقاية لم يكن يحلم بها جدودنا ، لقد أرسل الينا العلامتان كلت وغرن قوارب النجاة فخلصا بها اولئك الصغار من تلك الامواج الهائجة التي كانت تبتلعهم وما تلك القوارب أيها السادة غير لقاحها الواقي انها به قد أنقصا الوفيات من ٢٥ في المائة كما دلت الاحصاءات في فرنسة وانكلترة وألمانية إلى أقل من واحد في المائة فيالله من نجاح باهر .

ومتى عرفنا أن طريقة التلقيح سهلة للغاية فهي أن يؤخذ مقدار سنتغرام من مستحلب اللقاح المحضر في مستوصف باستور ويمزج بالحليب ويعطاه الطفل وان تعاد الجرعة نفسها كل يومين أي في الأيام الثالث والخامس والسابع من ولادته أدركنا أن الأمر سهل الاجرآء لا يحتاج الى عناء كبير .

ولكن من عساه يقوم بهذه الأعمال ، من تراه يعتني بالمسلول مهما كان نوع سله عظمياً أو مفصلياً أو عقدياً أو معوياً أو بولياً أو رئوياً من تراه يرعى أولئك الامهات المسلولات ويوجد في أولادهن المناعة على تلك الجراثيم القتالة بعد ولادتهم ان لم تكن في المستشفيات والمصحات ومن عساه ينشئ هذه وهي تحتاج الى أموال طائلة ومعرفة واختبار ان لم تكن الجمعيات .

أجل مامن فرد يقوى على القيام بهذه المشاريع الجليلة الفائدة ولكن على الفرد ان لم يقم بها أن يشترك بها عليه أن يعلم أن كل بارة يعضد بها هذه المشاريع يكون قد صرفها في سبيل وقايته ووقاية أهل وطنه وعليه أن يثق أن الدرهم الذي يهديه الى هذه الجمعيات القائمة بهذه المشاريع هو أنفع درهم يصرف في هذه الحياة .

اني اكبر عمل هذه الجمعية الكريمة وأعد مشروعها من أعظم مشاريع هذه البلاد لأن عظمة الأمر تقاس بفوائده وهل أعظم من الفائدة التي توجه الى كبح جماح مرض وبيل كالسل . ان العالم قائم قاعد بجيش جيوش الاطباء والكيماويين لمكافحة هذا الداء ، ولم يتوصل حتى الآن الى التغلب عليه فاذا قامت بين ظهرانينا فئة تنهج هذا النهج القويم ، اذا مادفعتها الحمية والغيرة على تخليص مئات الالوف من أبناء هذا الوطن العزيز الى الاشتراك بهذا الجهاد المقدس كان علينا أن نهلل باسمها وان نمد اليها يد المساعدة ، كان على التلميذ في مدرسته أن يقتصد مما يعطاه لمصروفه الخاص ويبعث به الى جمعية مكافحة السل ، كان على التاجر أن يخصص من أرباحه شيئاً ولو زهيداً ليهديه الى هذه الجمعية ، كان على المتمول أن يهب بلا حساب بعض ما يخزنه في صناديقه من النضار لهذه الفئة المجاهدة واذا مافعلنا ذلك اثبتنا أن الحياة تدب في عروقنا وبرهنا للناظرين الينا وهم على شك من تطورنا الاجتماعي أننا أمة تدرك للحياة معناها وتفهم أن في مقدمة الأمور مكافحة الأمراض وتقوية السواعد التي تعقد عليها ألوية الاستقلال الذي نطمح اليه بكل جوارحنا فلا تصموا آذانكم أيها السادة عن نداء هذه الجمعية الكريمة بل اعضدوها لأن نجاحها نجاح بلادكم وفلاحها فلاح أمتكم ونجاتها من عدو شديد المراس والسلام عليكم وعليها .